

السياسة والقضاء

دولة الرئيس العماد ميشال عون

مع قراءة النائب العام السيد عضوم، استفاق في ذاكرتي القول المأثور "لم تدخل السياسة شيئاً إلا أفسدته". طرّح علينا هذا الموضوع يوم كنا طلاباً على مقاعد الدراسة، وطُلب منا شرحه، ومدى انطباقه على الشعر العربي، وخاصة شعر النابغة الذبياني. ولو استبدلنا تلك الأيام بالتي نعيشها اليوم، لتغيّر الموضوع المطروح، وأصبح مدى إفساد السياسة للقضاء في هذه المرحلة السوداء من تاريخ لبنان. كنت أتمنى لو قام في لبنان أحد المحامين بالرد على السيد عضوم، ليس من باب الدفاع عن الذين تناولهم باتهاماته، ولكن لناحية الخل القانوني الذي يتلبس تصرفاته في هذه الأيام... أو أن يعترض أحد زملائه القضاة، على سلوكه الشاذ الذي يمسّ القضاء برمته، ويعرض سمعته بتلويثها بأدران التبعية السياسية... أو أن ينبري أحد النواب أو الوزراء، الذين لا يفضّ فوهم، ويقول له مهلاً سعادة النائب العام، لست أنت من يعدّل حق التعبير، ويتلاعب بالدستور، فما عليك إلا الالتزام بحدود صلاحياتك ولا تتجاوزها... أو أن يجروء صحافي فينصحه بالقراءة والإصغاء قبل الاتهام بالتحريض الطائفي، بعد أن ضلّ الطريق وسار باتجاه باريس، بدلاً من التوجه إلى اللقاء التشاوري وخليّة حمد... حضرة النائب العام، لقد سها عن بالك المبدأ القضائي المعمول به، والقاضي بسرية التحقيق، وعلانية المحاكمة، ويبدو لي بأنكم تبدأون بسرية المحاكمة، وتنتهون بعلانية التحقيق! وهكذا تحاكمون، ثم تفتشون عن الحثيات، وتصرفاتك فيها استباحة للقوانين ولأخلاقيات المهنة. إننا نحترم القضاء، ونغار على سمعته، ولذلك نحاول أن نحديه من الانحرافات الخطيرة التي تدفعونه باتجاهها. حضرة النائب العام، لا يحق لك التشهير بعباد الله لأي سبب كان، وأنت في كل مرة تتكلم، تمس بقريئة البراءة، التي تشكل حقاً أساسياً لكل متهم، فكيف والحالة أنك تختلق التهم. حضرة النائب العام، في أدراجك ملف فارغ وتناوب عليه عدة قضاة ولجان تحقيق، تجاوز عمره اثني عشر عاماً، ونسألك لماذا لا تُغلق هذا الملف، وتعيد الحقوق التي سرقتها الدولة، التي تمثلون، إلى أصحابها؟ أليس أجدر بالقاضي أن يُقفل الملفات الفارغة، بدلاً من إضافة ملفات فارغة أخرى إليها؟ هل لك، من أجل حرمة القضاء، ومن أجل سمعته، أن تشرح لنا ديمومة هذا التعسف في دولة ترعق ليل نهار بأنها دولة قانون؟؟ حضرة النائب العام، لقد أدهشتنا فعلاً في قدرة قوى الأمن على الاستقصاء، فأحسنا كأنها أصبحت أقوى من الأف.بي.أي. ونحن نقدر هذه المواهب والقدرات التي تتمتع بها، والتي مكنتها من القبض على جماعة الأشباح بشقيها المقيم والمغترب، وبوجود مثل هذه القوى يجب أن تكون مطمئناً بعد الآن بأن المؤامرات لن تمرّ في لبنان، وباستطاعتك تخصيص القسم الأكبر من هذه القوى لقمع "زعران" الجامعات، الذين يعكرون صفو العلاقات العائلية الحميمة مع الأخت سوريا. وبما أننا نتكلم عن تعكير العلاقات، هل تستطيع أن تشرح لنا، ونحن طلاب معرفة، كيف يمكن أن تتهم عناصر "التيار الوطني" بتعكير العلاقات مع الشقيقة، وليس هناك أي اعتراض من قبلها ولا أي تذمر؟ كما أنها لم تغضب يوماً، وتحزمت أمتعتها وتركت لبنان احتجاجاً على تصرفات المطالبين برحيلها! لذلك نرجوك أن تطلعنا على الاجتهاد الذي يسمح لك بإحالة الناس، نياماً وقياماً، أمام القضاء بموجب المادة ٢٨٨. وأخيراً يا حضرة النائب العام، أدعوك أن تفكّر جيداً بما تفعل، لأنك ستكون يوماً ما بدون مظلة تفيك حرارة أعمالك، فيأتي من يحاسبك باسم القانون الذي احتقرت وأهملت.. وتذكر دائماً "أنها لو دامت لغيرك ما وصلت إليك". ٢٠٠٢/١١/٢٤